ونوحٌ بفضلِ اللهِ قد علّمَ الدّرسا
فكلٌّ من الأصحابِ يحمي له نفسا
بجنّةِ خُلدٍ قد أجادَ لهُ غرسا (١)
وما مَلّ تلكَ الفُلكَ حتّى أتتْ مرسى (٢)

(١) وذلك باتّباعِهِ نوحًا عليه السّلامُ.
(٢) القادر على العمل عَمِلَ داخل السّفينة.
مرسى: بفتح الميم وسكون الرّاء:
محطّ السّفينة بالسّاحل.

أَلا إِنَّ كُلاًّ قد أَحَسَّ بِفَضْلِهِ
تعالَى لذا فالحَمْدُ كامِلُ شُغْلِهِ
أَمانٌ لَهُ من فُلْكِهِ ولِأَهْلِهِ
وكُلُّ كَفُورٍ نالَهُ سُوءُ فِعْلِهِ

وكلُّ كَفُورٍ كانَ ظَنَّ بِأَنْ يَبْقَى
إذا ما أَتَى تَلاًّ وكانَ أَتَى مَرْقَى
فإنْ جاءَ طَوْدًا ظَلَّ دَوْمًا بِهِ يَرْقَى (١)
ومَنْ كانَ جاءَ الطَّوْدَ لَيْسَ مِنَ الغَرْقَى

(١) الطَّوْد: الجبل الضخم العالي.

وهذا ابْنُ نُوحٍ ذلِكَ الظَّنُّ قد أَتَى
إِلَيْهِ وكانَ الكُفْرُ مِنْ قَبْلُ قد سَرَى
إِلَيْهِ وجاءَ الكُفْرُ صِنْهُ إِلَى الذُّرَى
وهاهُوَ أَيْمَى القَلْبِ لِلحَقِّ لا يَرَى

ألا إنّ ربّ العرش يهدي إلى الرُّشْدِ
وإنّ دُعاةَ الحقّ تُعْمَلُ من جِدِّ
وتَمْلِكُ إرشاداً إلى السَّعْدِ والوَعْدِ
وتَمْلِكُ مَوْلاكَ الهدايةَ لِلْعَبْدِ

هِدايَةُ إِرْشادٍ يُطِيقُ احْتِمالَها
جَمِيعُ جُنُودِ اللهِ أَصْلَحَ بالَها
هِدايَةُ تَوْفِيقٍ إِذا العَبْدُ نالَها
فَذِي مِنْحَةُ المَوْلَى تَجِيءُ رِجالَها

هذه آيةٌ تَوْفِيقٍ عَلَيْكَ يَمْلِكُ

وَيَمْلِكُ داعٍ دَعْوَةَ النَّاسِ تَهْلِكُ (١)

عَسَى أَنْ يُجِيبُوا داعِيًا كادَ يُنْهِكُ (٢)

إِذا شاءَ رَبُّكَ ذِيكَ الدَّرْبُ يُسْلَكُ

(١) أي النَّاس الَّتي تَهْلِكُ بالشِّرْكِ.

(٢) كادَ يُنْهِكُ كاد يَبْلُغُ ذروة التَّعَب والمَشَقَّة.

وهذا ابْنُ نُوحٍ لَمْ يَشَأْ رَبُّنا يَوْما
هِدايَتَهُ كَيْ يَطْرُدَ الكُفْرَ والقَوْما
عَلَى الشِّرْكِ لَمْ يَسْتَنْكِفِ العَدْلَ واللَّوْما
ولَمْ يَقْبَلِ الإِسْلامَ لِلّهِ والصَّوْما

وَلَمْ يَكُ يَنْأَى عَنْ أَبِيهِ بِجِسْمِهِ
فَهذا ابْنُ نُوحٍ كانَ يَدْنُو بِرَسْمِهِ
كَما كانَ يَدْنُو مِنْ أَبِي لَوْحِيِّ باسْمِهِ (١)
وَلكِنَّ دِينَ اللهِ يُرْمَى بِسَهْمِهِ

(١) أي أنّ الابْنَ الكافر مَعْروفٌ بأَنَّهُ ابْنُ نُوحٍ عليه السّلام.

وهذا ابْنُ نُوحٍ كانَ يُبْصِرُهُ أَبُ
ونُوحٌ رَسُولُ اللهِ فِي الفُلْكِ يَرْكَبُ
وها هِيَ ذِي فُلْكٌ بِها الماءُ يَلْعَبُ
فَيَدْعُو ابْنَهُ لِلفُلْكِ إِذْ هِيَ مَرْكَبُ

وهذا ابْنُهُ يَأْبَى المَجِيءَ لِفُلْكِهِ
وهذا ابْنُهُ كانَ السَّعِيدَ بِشِرْكِهِ
وكانَ أَتَى مِنَ الشِّرْكِ أَعْمَقَ دَرْكِهِ
ويَنْظِمُهُ الشَّيْطانُ دَوْمًا بِسِلْكِهِ

ونوحٌ رسولُ اللهِ هذا أبٌ برٌّ
يعزُّ عليهِ أنْ يجيءَ ابنُهُ شرُّ
بتصغيرِ تمليحٍ دعاهُ وذا الضُّرُّ (١)
وكانت بدا ماءً وهاهُوَ ذا بحرُ

(١) سورة هود ٤٢

وهذا أبٌ قلبُ لهُ كادَ يَنفطِرْ

وهذا ابنهُ قد لاحَ في خوضةِ الخطرْ

وهذا ابنهُ تحلبُ لهُ قدَّ من حجرْ

وما كانَ يدري أنَّ ذي فرصةُ العمرْ

جزاءُ أبٍ دَوْمًا على الواحدِ الباري
فهذا أبٌ دَوْمًا يعيشُ بأَفْطارِ
تمنّى نجاةَ ابنٍ كفورٍ منَ النّارِ
ومِنْ تمرقٍ لمّا أُحيطَ بأَفْطارِ

وهذا ابْنُهُ يَنْوِي البَقاءَ على الكُفْرِ
وقالَ سآوِي لِلعَظِيمِ مِنَ الصَّخْرِ
ألا إنَّ هذا الصَّخْرَ أقْوَى مِن البَحْرِ
ولَيْسَ يَجِيءُ الماءُ لِلسَّحْرِ والنَّحْرِ(١)

(١) السَّحْر: الرِّئة. والمراد أنّ ماء المطر لا يقوى على إغراق الجَبَلِ الصَّغير فكيف بالجَبَلِ الكبير.

أَلا أَنَّ نُوحًا بَيَّنَ الحَقَّ لِابْنِهِ
بِرَحْمَةِ رَبِّ العَرْشِ نَنْجُو وإِذْنِهِ
ولَيْسَ بِطَوْدٍ نَحْنُ نَسْعَى لِأُذْنِهِ
ولَيْسَ بِفُلْكٍ قَدْ مَلَكْنا لِفَنِّهِ (١)

(١) الفُلْك: السَّفينة والمَرْكب. يُذكَّر ويؤنَّث.

وقيمةُ كفّارٍ جناحُ ذُبابِ
ولو حُشراتٍ من جميلِ ثيابِ
فإنّ وراءَ الثّوبِ سوءَ إهابِ (١)
ألا إنّ طولَ الظّفرِ منهُ كنابِ

(١) إهاب: جلد جسم الحيوان.

أَلا إِنَّ مَوْجَ البَحْرِ قد صارَ حائِلا
وما هُوَ مَوْجُ البَحْرِ قد لاحَ حائِلا
ونُوحٌ بِتَرْنُمِ الجُهْدِ لَمْ يَلْقَ طائِلا (١)
ونُوحٌ أَبٌ بَرٌّ وقد عادَ سائِلا

(١) لم يَلْقَ طائلا : لم يَلْقَ غَناءً وفائدة.

يَقُولُ أَيا رَبّاهُ ذا ابْنِيَ مِنْ أَهْلِي
وَعْدُكَ بُشْرَى إِنَّهُ الفَوْزُ لِلْكُلِّ
وها هُوَ ذا قدماتَ بالمَوْجِ يا سُؤْلِي
وإِنَّ كَلامَ الحَقِّ نَوَّرَ لِلْعَقْلِ

أَلا إِنَّهُ الإِسْلامُ قَدْ حَدَّدَ الأُصُلا
أَخُوكَ الَّذِي مِنْ قَلْبِهِ وَحَّدَ المَوْلَى
وَصَدَّقَ بِالمُرْسُولِ مِنْ رَبِّهِ الأَعْلَى
دَلِيلٌ عَلَى الإِسْلامِ هَاهُوَ قَدْ صَلَّى

وهذا ابْنُهُ ما كانَ صَدَّقَ أَوْصَلَى
وكانَ على نُوحٍ أَبِيهِ تَحِدا اسْتَعْلَى
وهذا ابْنُ نُوحٍ كانَ قد أَغْضَبَ المَوْلَى
فَيُطْرَدُ مِنْ أَهْلٍ ونائِرِهِ أَوْلَى

أ لا إنّهُ الإيمانُ في القلبِ قد قرّا
عليهِ دليلُ حُسنِ فعلٍ لقد سرّا
بطاعةِ ربِّ العرشِ من يملكُ الأمرا
وطاعةِ مرسولٍ أرادَ بنا يُسرا

وَيَسْأَلُ نُوحٌ رَبَّهُ العَفْوَ والغَفْرا (١)
فَيَمْنَعُهُ الغُفْرانَ أَكْسَبَهُ بِشْرا
وها هوذا قد أَكْثَرَ الحَمْدَ والشُّكْرا
ونُوحٌ رَسُولُ اللهِ قد أَكْثَرَ الذِّكْرا

(١) الغفر: المغفرة والغُفْران.

ولم يك وقت للحديث يطول
فها هو يمضي والطريق طويل
ونوح على ابنٍ دمعه لهطول
وهذا ابنه لم يجد منه عويل (١)

(١) عويل : بكاء. وذلك حينما تأكد الابن من الهلاك.

أَلا ذا ابْنُ نُوحٍ إِنَّهُ مات كافِرا
أَلا إِنَّهُ عن الغَيِّ قد كانَ سادِرا
ولَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ والِدٍ كانَ طاهِرا
عَنِ الغَيِّ هذا والِدٌ كانَ زاجِرا

أَلا إِنَّهُ بَحْرٌ طَواهُ بِمَوْجِهِ

أَلا إِنَّ هذا المَوْجَ كانَ بِأَوْجِهِ

ولَمْ يَنْجُ مَنْ قد كانَ يَعْلُو بِسَرْجِهِ (١)

ومَنْ كانَ في وادِي قَناةٍ وَوَجِّهِ (٢)

(١) السَّرْج: رَحْلُ الدَّابَّة. والمراد الرَّاكب.

(٢) وادي قَناة في سفح جبل أُحد وفيه كانت غزوة أُحُد. ووادي وَجّ، بفتح الواو: أكبر أودية تُقيف بالطّائف. والمراد أنّ الماء عَمَّ كلّ مكان.

تعلى الكفر لم تبك السماء وأرضها
ولم يجد طول البرارى وعرضها
ولم يجد علو البلاد وخفضها
محبة كفار أتى اليوم دحضها

لقد حال مَوْجٌ بَيْنَ الأَبِ وابْنِهِ
وهذا ابْنُهُ لم يُعْنَ شَخْصٌ بِدَفْنِهِ
وهذا ابْنُهُ أَنَّى يَسِيرُ بِأَفْنِهِ (١)
وأَيْنَ هُوَ المأْفُونُ يَأْتِي بِسُفْنِهِ (٢)

(١) أَنَّى : مِنْ أَيْنَ . الأَفْن : نَقْصُ العَقْل .

(٢) مأفون : ناقص العقل .

أَلَا ذَا ابْنُ نُوحٍ لَيْسَ يَنْفَعُهُ أَحَدْ
وَيَنْفَعُ كُلَّ النَّاسِ رَبُّهُمُ الصَّمَدْ
وَمَنْ وَحَّدَ الرَّحْمٰنَ فَالْخَيْرَ قَدْ وَجَدْ
وَيَبْقَى عَلَيْهِ الْجِدُّ مَنْ جَدَّ قَدْ حَصَدْ (١)

(١) وَيَبْقَى عليه الجِدّ : ويلزمه الجِدُّ بعد ذلك.

وهذا ابنُ نوحٍ رَمْزُ مَنْ كانَ قد كَفَرْ
وقيمةُ ذي كُفْرٍ أتتْ رُتبةَ الصِّفرْ
وذا حَظُّهُ مُذْ كانَ في صَيْئَةِ النِّمرْ
إلى أنْ بدا مِنْ أخْسَأِ النّاسِ في الحُفَرْ

أَلَا إِنَّ تِلْكَ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ تُبْحِرُ
وَهَا هِيَ ذِي بِالْمَاءِ كَالْبَحْرِ تَمْخُرُ
وَهَا هِيَ ذِي رِيحُ الْفُلْكِ تُسَيِّرُ
أَلَا إِنَّ مَوْجَ الْبَحْرِ يَكْبُرُ يَصْغُرُ

أَلَا إِنَّ رَبَّ الْعَرْشِ يُنْقِذُكِ سَتِّيرَا
وَقَدْ كَانَ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ قَدَّرَا
وَلَيْسَ تَرَى مَا كَانَ فِي الْمَاءِ عَكَّرَا
أَلَا إِنَّهُ مَا شَاءَهُ فَالِقٌ يُرَى

أَلا إِنَّ بَعْضَ المَوْجِ يَعْلُوهُ كالجَبَلْ (١)

ولَيْسَ يَضُرُّ الفُلْكَ لَوْ أَنَّهُ نَزَلْ

لقد كَتَبَ اللهُ السَّلامَةَ فالأَزَلْ (٢)

وسَوْفَ يَمُوتُ المَرْءُ حِينَ أَتَى الأَجَلْ

(١) يعلوه : يعلو الفُلْكُ الموج .

(٢) الأَزَل : القِدَم .

وذيك فُلْكٌ رَبُّنا اللهُ يَرْعاهُ
بِهِ أُمَّةُ الإِسْلامِ يَحْفَظُها اللهُ
تُسَبِّحُ رَبَّ العَرْشِ والماءُ تَلْقاهُ
أَتَى من سَماءٍ والتَّفَجُّرُ قَوّاهُ (١)

(١) والتَّفَجُّرُ: تَفَجُّرُ الأرضِ عُيُونًا.

بِإِذْنِ إِلٰهِ الْعَرْشِ لَمْ يَنْجُ كَافِرُ

مَضَى أَوَّلٌ مِنْهُمْ جَمِيعًا وَآخِرُ

وَيَبْقَى بِإِذْنِ اللّٰهِ مِنْ بَعْدُ طَاهِرُ

يُؤَيِّدُ رَبُّ الْعَرْشِ وَاللّٰهُ قَادِرُ

وَنُوحٌ إِمَامُ الْقَوْمِ نَجَّاهُمُ رَبِّي
أَلَا إِنَّ رَبَّ الْعَرْشِ نَجَّى مِنَ الْكَرْبِ
وَنُوحٌ إِمَامُ الْقَوْمِ فِي السَّهْلِ وَالصَّعْبِ
أَلَا إِنَّهُ يَدْعُو الْمَهَيْمِنَ فِي دَأْبِ

وإذ شاءَ ربُّ العرشِ للكربِ يذهبُ
فها هيَ ذي سُحْبٌ يُقالُ لتغْرُبُ (١)
وزيتُ حياةُ الأرضِ بالأمرِ ينضُبُ (٢)
وها هيَ ذي فُلْكٌ على الأرضِ ترْسُبُ (٣)

(١) تغْرُب : تغيب .
(٢) ينْضُبُ : يجفّ .
(٣) ترْسُبُ : تنْزل و تستقرّ .

على جبلِ الجوديِّ ذى الفُلْكُ قد رَسَتْ
وأصلكَ مولاكَ القلوبَ التى قستْ
وتلكَ صدورَ المؤمنينَ تنفستْ
وتقوى قلوبَ المؤمنينَ لقدْ كستْ

وَنُوحُ أَبٌ قَدْ جَاءَ بِالنَّاسِ ثَانِيَا (١)
وَنُوحُ رَسُولٌ كَانَ لِلْحَقِّ بَانِيَا
عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ قَدْ كَانَ حَانِيَا
بِعَوْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يَسْعَدُ جَانِيَا

(١) آدم عليه السلام الأب الأوّل للبشريّة.

وذي أُمّةُ الإسْلامِ يُنشِئُها الباري
وكانَ قضى المَوْلى على كُلِّ جبّارِ
وأُمّةُ إسْلامٍ بِقُوّةِ قَهّارِ
لتَنْشُرَ دِينَ اللهِ دَوْماً بإصْرارِ

وها هُوَ دِينُ اللهِ في الأَرْضِ يُنْشَرُ
وَلَيْسَ يُرَى في الأَرْضِ مَنْ بَاتَ يَكْفُرُ
أَلا إِنَّ أَهْلَ الدِّينِ في الفُلْكِ تُبْحِرُ
وَذُرِّيَّةٌ لِلْقَوْمِ كُلٌّ يُكَبِّرُ

وإلى أمة الله ربك وحدت
ومن كل أرض مسجد الله أوجدت
وصاحبي ذي التخيير كانت لقدمت
ومن كل أنواع الأباطيل أبعدت

وصوّرك ربّ العرش تصوير ربّها
أرى إنّها دوماً لتعبد ربّها
وقد ملأت من خشية الله قلبها
وتعلم أنّ الله فرّج كربها